التنويم المغنطيسى

وارجاع العرافة والكهانة اليه

قدمنا فى مقالنا السابق شيئا عن العرافة والكهانة عند العرب لم نتعدَّ فيه المادة اللغوية والحوادث المروية « كما قلنا اذ ذاك » الى تعريف الحقيقة وتبيين الكنه ولما كان ذلك مما يتوق الى معرفته الكثير ووعدنا فى آخر ذاك المقال بالعودة الى تلك الحقيقة التى مازالت شاغلة للأذهان محيرة للعقول حتى كشف العلم الحديث غامضها وأبان سرها وأرجع ما توحى به العرافة والكهانة الى ضرب من التنويم المغنطيسى وهانحن أولاء نجمل ما وقفنا عليه فى هذا الباب .

السبات المغنطيسى عبارة عن تخدير يحدث فى الجهاز العصبى الحسى تنفصل على أثره النفس من الجسم ولا تبقى مرتبطة به الا ارتباطا خفيفا وبهذا الانفصال تعود الى جانب من حريتها الاصلية فتبدو منها تلك الادراكات الغريبة التى عجز الماديون عن شرح عللها ونسبها المتدينون الى أفعال الملائكة أو الشياطين .

وقد أثبتت التجارب أن إنشاء هذا السبات يكون بطرق ثلاث احداها طبيعية كان يحدق الانسان ببصره الى نور شديد أو جسم لامع أو يسمع باتصال صوتا متساوى اللحن أو يساط عليه سائل كهرباوى ضعيف حتى ينام .

وثانيتها كيمياوية وهى الناشئة عن فعل الاثير او الكلوروفورم أو الازوت أو ماشا كل ذلك مما يلقى أخذه فى النوم ، وثالثتها حيوية وأخصها الارادة كأن يحدق المنوم بصره الى الشخص المراد تنويمه طويلا أو يشد على إبهامه شدا خفيفا ويأمره أن ينام أو يلقنه النوم باطباق جفنيه الى غير ذلك مما يلقى الشخص فى السبات وهذه أمور منشؤها الاستعداد فى الشخصين ولكنها تسهل كثيرا بالمران .

ومتى نام الشخص تدرج فى ثلاث حالات . حالة أولى يفقد فيها الاحساس ويبطل منه عمل الحواس ولكنه يلبث شاخص العين تلوح على محياه أمارات مايلقنه المنوم اياه من غضب أو سرور ومحبة أو كره وقد أنكر بعض الناس فى بادىء الأمر فقد النائم للاحساس ولكن العالم الفرنسى « دى بوتيه » نوم بعض المرضى وهو يشرح لتلاميذه الامتحانات التى أقامها سنة ١٨٢٠ فى مستشفى باريس وأباح لهؤلاء المنكرين أن يقرصوا أجسام النائمين قرصا شديدا ويدخلوا فى أنوفهم بعض الدخان ويضعوا أرجلهم فى ماء شديد السخونة ففعلوا كل هذا مما تأباه الرأفة لولا خدمة العلم ومع هذا لم يحس النائمون شيئا منه . وحالة ثانية تعقب الأولى وفيها يفقد النائم الاحساس بدرجة أشد وتغلق عيناه ولكنه يبصر ويسمع بغير الحواس ويجيب عما يسأل عنه ويفعل مايأمره به منومه ولو كان يجهله قبلا والشواهد على هذا كثيرة. عصب العالم الفرنسى « دولار » عينى ابنة نومها وأمرها أن تقرأ فى كتاب فقرأت منه سبعة أسطر ثم كتب لها بعض الحاضرين كلمات

من عند أنفسهم فقرأتها أيضا. والعالم الفرنسى «روستان» نوم فتاة أخرى وعصب عينيها كذلك ثم عرض عليها ساعة فعرفت أنها ساعة وسألها كم هى فأجابت ثمان الا عشر دقائق وكانت كذلك وحالة ثالثة تعرف بحالة الاختطاف وفيها يبلغ انطلاق الروح من الجسد أقصاه ويعرف النائم أفعال الناس ويسمع كلامهم عن بعد وينبئ عن بعض حوادث مستقبلة ويتكلم بلغات شتى واذا كان مريضا أمكنه أن يصف لنفسه بعض العلاجات الملائمة الى غير ذلك من أمور حققها العلامة « شارول » فى كتابه المدعو المغنطيسية الحيوانية وكذا العلامة « روكاس » وغيرهما كثيرون وقد دونت اللجنة التى أقامتها الأكاديمية الفرنسية الطبية بباريس للنظر فى حوادث المغنطيسية سنة ١٨٣١ الحوادث الكثيرة والحكايات العديدة التى تؤيد هذه الحالة بوضوح فى كلام مفصل طويل نقتصر منه على تحمل حادثة فحواها أن المسيو (فرواساك) نوم المسيو (كازو) الذى كان مصابا بداء الصرع فاخبر فى نومه بحملة نوبات عصبية سوف تعتريه محددا تاريخ كل نوبة يوما وساعة وبمراقبة اللجنة هذه الاوقات اعترته فيها تلك النوبات

هذه هى أحوال التنويم المغنطيسى وتلك هى طرقه ومن ذلك ان النائم كلما تغلغل فى السبات اشتدت فيه قوة الادراك ولذا كانت الحالة الاخيرة أرقى الحالات الثلاث وقد أثبت العلم والتجربة أن الاستعداد الشخصى فى النائم والمنوم قد يجتمعان فى شخص واحد يتسنى له ان ينيم نفسه ويستوحى روحه كما دلت الروايات التاريخية الصحيحة

ان ذلك كان معروفا فى القديم كما هو معروف الا ن وأن من هذا الصنف الكهنة والعرافون الذين كانوا يلقون انفسهم فى السبات ثم يتلقون عنها مابه يخبرون . روى المؤرخ « سترابون » عن كهنة مدينة « مامفيس » انهم كانوا ينومون انفسهم ويعطون وقت السبات آراء طبية ويشيرون الى تراكيب علاجية تزول باستعمالها الاسقام

وكثيرا ماتى « هيرودتس » المؤرخ اليونانى فى تآليفه على ذكر المعابد التى كان يقصدها الزوار القليلون لنيل الشفاء بعلاجات كان يستكشفها الكهنة في المنام . وقد اخذ اليونان عن المصريين هذه المعارف وفاقوهم فيها . روى عن الفيلسوف « ابولونيوس » التيانى انه كاد يشفى داء الصرع بمواد ممغطسة وينبىء عن المستقبل ويشير الى حوادث جارية عن بعد . وروى عنه ايضا انه لجأ فى زمن شيخوخته الى مدينة « افسوس » واقام فيها معلما وبينا هو مع تلاميذه فى ساحتها العمومية ذهل فجأة وهتف قائلا (تشجع واضرب المغتصب) ثم توقف هنيهة ولاحت عليه سيماء القلق والانتظار وأخيرا هتف قائلا « أبشروا ياأهل أفسوس قد مات المغتصب قتلا » وبعد أيام أتاهم الخبر بسقوط الملك « دوميسيانوس » قتيلا بخنجر أحد المحررين وكان قتله فى الساعة التى تكلم فيها هذا الفيلسوف وهو فى حالة الاختطاف . وكذلك الرومان وجد فيهم أمثال هؤلاء المتقدمين فقد كان « غاليانوس » الطبيب يبرىء الامراض بهذه الطريقة التى جعلته فى اعين الناس ساحرا وكان يقر عن نفسه ان معظم خبرته اتته مما كان يتلقاه وقت المنام

فالمغنطيسية كانت معروفة فى العصور القديمة لدى تلك الأمم وغيرها من الهنود والصينيين والعرب على أيدى الكهنة والعرافين والمقسمين ولم يك مجهولا فيها الا اسمها قال المعلم « فان هيامون » إن المغنطيسية ما استجد فيها الا الاسم ولا يعتدها بدعة الا الذين ينسبون الى الشيطان مايعجزون عن شرحه .ومن تتبع أحوال الكهنة وصفاتهم الجسمية والخلقية وكيفية معيشتهم واحتباسهم أنفسهم وغير ذلك من أنواع الرياضيات التى تضعف الرابطة بين النفس والجسم يجد أن كل هذه أمور تقوى استعدادهم للسبات وأنها هى التى يتطلبها الآن العلم الحديث .

أما العصور المتوسطة فقد قل فيها من مارس المغنطيسية لأن رجال الدين « وكانوا ذوى سلطة ورياسة على رجال السياسة فى هذه العصور » لم يدعوا وسيلة لمحاربة هذا الفن الا بذلوها وكان أشدّ من يبغضون وبهم ينكلون السحرة والملحدون فكم أماتت النصرانية فى هذه الازمان بالسيف والنار ألوفا من الابرياء المساكين بدعوى أنهم سحرة ومستحضرو أرواح ولكن على الرغم من هذا وجد من مارس هذا العلم حتى ألقى به فى يد الكثيرين من رجال العصر الحديث فلم يزل يرقى ويتقدم على أيديهم الى أن ظهر فى أواخر القرن الثامن عشر العلامة « مزمر » فجمع شتات ماتفرق منه ورتب أصوله وفروعه وشرح كيفية صدور المغنطيسية من المنوم الى النائم وآثارها فى النائم الى غير ذلك من تعاليمه التى انتشرت انتشارا عاما جعلت الناس يتقاطرون اليه

وجعلت المغنطيسية والحيوانية تلقب بالمزمرية نسبة اليه .

بقى شيء يجب أن نعرفه بعد هـذا وهو أن النائم كثيرا مايخطئ لاسيما فى الحوادث المستقبلة كما يشاهد الآن وكما روى عن الكهنة والعرافين أنهم كانوا كذلك يخطئون فما علة هذا ؟

الجواب — سبق أن قلنا إن أحوال النائم ثلاث وإنه كلما تغلغل فى السبات اشتدت فيه قوة الادراك اذ كل درجة من السبات لها ذاكرة خاصة تشمل ماسبقها ولا تتصل الى مابعدها واما كان هذا التغلغل لايصل الى نهايته الا بعد الموت حيث تنفصل النفس عن الجسم تمام الانفصال كان مايلقنه الأحياء فى حال سباتهم مهما كان شديدا غير واصل كله من الصحة والاصابة النهاية التى تصل اليها النفس مجردة عن الجسم ولهذا السبب ومن هـذه الناحية تطرق الخطأ الى مدركات النائمين ومنهم الكهنة والعرافون واعترى الكذب بعض أخبارهم ونهت الشرائع عن مزاولة هذه الامور والوقوف أمام مزاوليها موقف التصديق والاذعان وبخاصة الدين الاسلامى فقد أفاض فى هذا وأبان بقول جازم أن الله وحده كما وصف نفسه « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا » على أن النبى صلى الله عليه وسلم جرد نفسه عن ادراك الغيب الا ما أطلعه الله عليه قال تعالى حكاية عنه فى كتابه « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير » وبهذه العقيدة دان

المسلمون ونطق حكماؤهم وشعراؤهم بل قد دان بها كثير من ذوى الحجا والعقل فى زمن الجاهلية زمن انتشار الكهانة والعرافة . فقد نهت هند بنت عتبة أباها أن يذهب بها الى أحد كهنة اليمن فى تعرف أمور نسبها اليها زوجها الفاكه لان الكاهن معرض لأن يخطئ ويكذب وقال احد شعرائهم راميا كل تلك الطوائف بالكذب والضلال

لايعلم المرء ليلا مايصبحه الا كواذب مما يخبر الفال
والفأل والزجر والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أقفال

وتلك لاشك هى العقيدة الحقة لاسيما فى الأمور المستقبلة التى إذا صدق بعضها لايبعد أن يكون صدقه آتيا من باب المصادفة والاتفاق فانه ليس بالحتم أن يكون كل مايقال كذبا فاذا ماسمع الناس خبرا صادقا حفظوه ومهما سمعوا من أخبار كاذبة أضربوا عنها وتركوها على أن كثيرا من واضعى السير والأخبار نسبوا الى مشهورى الكهنة والعرافين مالم يقولوا به تأييدا لرواية يريدون اسنادها ولا يبعد ان يكون من هذا مانسب الى سطيح وشق فى الاخبار بالرسالة على النحو الذى ذكرنا بعضه فى مقالنا الفائت أما تعرف الماضى كحكاية سواد بن قارب السالفة فى ذاك المقال أيضا فطريق المعرفة فيها أوضح والصدق اليها أقرب .

وذاك بمثل ماهو معروف الآن وربما يحدث التقدم العلمى مالبس فى الحسبان ؟

السباعى بيومى